الادب السياسي الصهيوني حافل بالافكار المشابهة للاراء التي سبق عرضها ، والتي فيما لو جردناها من الطابع الصوفي الذي يلف معظمها لامكن لنا تبين الاسباب الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء تلك الدعوة ٠٠ والتي لا تقفز فوق المخاطر التي يمثلها الاعتماد على الايدي العاملة الاجنبية ٠٠ ،تعبر عنها نبؤة يوسف اهارونفتش الذي قال « ان شعبا لا يمتلك هيكلا واسعا من العمال القريبين من الطبيعة ومن مواد انتاج الطبيعة ، ان شعبا كهذا نهايته التحجر في جسده وروحه ، وليس له حق الوجود حتى ولو نجح في ان يوجد لنفسه بوسائل مصطنعة امكانية الوجود ٠٠ (١١) » ٠

رغم الاسباب السياسية التي قدمها دعاة العمل العبري ، فان الغلبة في النهاية كانت للحقائق الموضوعية التي فرضت نفسها ، وسادت الافكار العملية التي عمل على اساسها تيودور هرتزل «مؤسس حركة الصهيونية العالمية المنظمة (١٢) » ، والذي كان «ابعد ما يكون عن فهم الديانة اليهودية الحقة (١٣) » ٠

لقد ادرك هرتزل الحقيقة المعروفة وهي «ان السحر والرومنطقية يلعبان دورا ضئيلا جدا في حياة البشر العاديين بمن فيهم اليهود ٠ وهكذا فانه على الرغم من ان اليهود كانوا يكررون العهد كل يوم بالا ينسوا القدس ، مغذين بذلك التوق للعودة اليها ، فان قليلين جدا منهم ذهبوا فعلا الى هناك للحج او الاستيطان حتى عندما لم تكن هناك عقبات في طريق العودة ٠٠ (١٤) » ٠ وكذلك فان عدد اليهود في فلسطين عام ١٩١٤ مجرد ٣٥ الف يهودي من بين ١٢ مليون يرددون في صلواتهم ثلاث مرات في اليوم ان لن ينسوا اورشليم والعودة الى ارض الميعاد ٠٠ (١٥) » وانه « رغم ما كتب عن المكانة التي تشغلها فلسطين في قلب الشعب اليهودي الا انها كارض للعيش لم يكن لها الا تاثير ضئيل على الفرد اليهودي ٠٠ (١٦) » واشار داعية صهيوني في رسالة له الى مجلة العالم اليهودي في ١٨٩٧/١/٢١ الى ان «اليهود هم اقل طائفة من بين الطوائف الاخرى تقصد الى فلسطين ٠٠ (١٧) » ٠

وان اليهود الذين « غادروا روسيا او بولنده والارض المقدسة على شفاههم ، كانت اقدامهم تسير ثابتة في الاتجاه الاخر : الى المانيا او انكلترا او اميركا ٠٠ (١٨) » ٠

الخرافة تندمج في سند الملكية الايديولوجية على مقاس الوضع الطبقي

الخرافة على الشفاه ، والحقيقة حيث تسير الاقدام كان هذا المأزق الذي ادركه هرتزل ٠٠ والحل كان بكيف يمكن للخرافة ان تتطابق مع الحقيقة ٠٠ الحل كان ممكنا اذا كان «يمكن للخرافة ان تندمج في سند الملكية ٠٠ (١٩) » ولذا « فقد استثار الزعماء الصهيونيون ايضا حافز الربح عند الافراد الذين يؤيدون الحركة ٠٠ (٢٠) » ووعدهم هرتزل عبر كتابه ، دولة اليهود ٠٠ «لن نخسر ممتلكاتنا التي اكتسبناها ، بل سنحولها الى نقد ٠ سيرحل فقط اولئك الذين هم متاكدون انهم بذلك يحسنون مركزهم (٢١) ٠٠ »٠ «وان الخروج سيكون في الوقت نفسه ارتقاء طبقيا ٠٠ (٢٢) » ٠ وعلى الجانب الاخر ، فقد قدم كتاب «دولة اليهود» اغراء من نوع اخر الى البرجوازيين اليهود ، فبالاضافة الى « ان المسودة الاصلية لكتاب الدولة اليهودية كانت تحمل اسم « رسالةالى آل روتشيلد(٢٣)»» و«انها كانت مقصودة لاستعمال اسرة روتشيلد الخاص ٠٠ (٢٤) » ٠ وان « اول نسخة